

الحركية النقدية للشعر الموجه للطفل في الجزائر
Critical approaches to Algerian children's poetry

مريم شويشي

Meryem CHOUICHI

جامعة مصطفى اسطمبولي (معسكر)، meryem.chouichi@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: 2025/05/28

تاريخ القبول: 2025/05/07

تاريخ الاستلام: 2025/01/28

الملخص :

تندرج هذه الدراسة في باب نقد النقد، وهي دراسة تطبيقية بحثية؛ تقف على الدراسات النقدية الجزائرية التي أنجزت حول أدب الطفل في الجزائر، وهذا النوع من الأدب لازال فتيا في وطننا العربي بصفة عامة مقارنة بنظيره الغربي-كما تؤكد الدراسات المتخصصة في هذا المجال-، وهدفنا من هذا البحث تقديم صورة عن منجزات نقادنا حول الشعر الموجه إلى الأطفال في الجزائر، والكشف عن منهجيتهم في مقارباتهم لمختلف هذه النصوص الشعرية. بناء على ذلك خصصنا الجزئية الأولى من بحثنا حول الجانب النظري المتعلق بمفاهيم أدب الطفل أو الشعر الموجه للطفل في تصوراتهم، ومدى اهتمامهم بتحديد مصطلحات موضوعاته، في حين خصصنا الجزئية الثانية للجانب التطبيقي بغية تقييم منجزاتهم. **كلمات مفتاحية:** أدب الطفل، الشعر الموجه للطفل، المقاربة النقدية، المنجز، نقد النقد.

Abstract

This study falls under the category of meta- criticism(purely applied study); examining Algerian critical studies on children's literature, this form of literature is fairly resent(as confirmed by specialized study). The research aims to highlight Algerian critic's approaches to children's poetry elucidate their methodologies in analyzing various poetic texts. our study's first section examines critics' notions of children's literature or children's poetry and extent of terminological rigor in research methodology, and the second section assesses their contribution, exploring their analytical approaches.

Keywords: children's literature, children's poetry, critical approach, achievement, meta-criticism.

المؤلف المرسل: مريم شويشي، الإيميل: meryemch14@gmail.com

1. مقدمة:

تشير الدراسات إلى أنَّ الأدب الموجه إلى الأطفال في الجزائر (قصة وشعرا ومسرحية) قد بدأ بخطوات متثاقلة، نظرا للأوضاع التي عاشتها الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، لكن سرعان ما عرفت تقدما بعد الاستقلال، تابعتها أقلام نقدية قليلة تعد على الأصابع إذا ما استثنينا الدراسات الجامعية الأكاديمية، غير أن ثلّة من الباحثين قد بدأت تشق طريقها نحو الاهتمام بهذا النوع من الأدب، فبرزت على الساحة النقدية دراسات تتابعه وتستكشفه وتوضح قيمه وقيّمته، وهذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال تأطير وتحديد البحث بالنظر إلى التساؤلات التالية: كيف تعامل نقادنا منهجيا مع النصوص الشعرية الموجهة للطفل في الجزائر؟ وما مدى وضوح تلك المنهجية؟ وهل اتفقوا على منهجية محددة سلفا؟ وهل تقاربت نتائجهم؟ وإلى أي مدى أسهمت دراساتهم في الرقي بأدب الطفل وتوجيهه الوجهة المناسبة لمستوى الفئة الموجه إليها؟.

ولتأطير هذه التساؤلات قمنا بالوقوف على الدراسات النقدية الجزائرية التي قاربت تلك النصوص الشعرية على المستويين النظري والتطبيقي، بهدف الكشف عن مدى اهتمامهم بمصطلحات دراساتهم من جهة، ومن جهة أخرى تحديد منهجيتهم المتبعة في قراءتها، ومدى احترامها للفئة الموجه إليها تلك النصوص، ألا وهم الأطفال.

2. الشعر الموجه إلى الأطفال في المقاربات النظرية

1.2 من حيث تحديد المصطلحات والمفاهيم وضبطها:

قد لا نغالي إذا قلنا أنَّ المنجز النقدي للشعر الموجه للأطفال في الجزائر قليل جدًا مقارنة بالأدب الموجه للطفل، وفي الساحة نفسها نجد من بين تلك الدراسات التي قاربت النصوص الشعرية الموجهة للطفل دراسة الناقد "العبد جلولي" (النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر)، حيث قسم كتابه إلى ثلاثة أبواب تحت كل باب منها فصلين اثنين، والدراسة عبارة عن جزأين؛ جزء نظري وآخر تطبيقي، ومن الموضوعات النظرية التي عالجها الكتاب وقوف كاتبه على إشكالية المصطلح وتحديد مفهومه، مشيرا إلى تمييزه بين مصطلحي (شعر الأطفال/ الطفل في الشعر) حتى يكون القارئ على دراية بحدود الدراسة وأهدافها، إذ يقول: "وبديهي أننا لا نقصد بشعر الأطفال الشعر الذي ينظمه الأطفال أنفسهم، بل نقصد به الشعر الذي ينظمه الشعراء الكبار للأطفال؛ لأن عبارة شعر الأطفال أضحت متداولة في الأدب الموجه للأطفال وهي في الواقع تعني الشعر الذي ينظمه الأطفال (...)" وتأتي عبارة (الطفل في الشعر) لتزاحم المصطلحين السابقين وفي هذا المجال تبرز الطفولة كموضوع وعلى الخصوص في الشعر الاجتماعي حيث يخاطب الشعر الراشدين وليس الأطفال ويدعوهم إلى الاهتمام بالطفولة (...).، أما من حيث الاختلافات بين الشعر

الموجه للطفل والموجه للكبار فتكون على مستوى المضمون والمحتوى والصياغة اللغوية والموسيقية" (جلولي، 2008، صفحة 13، 11)، وهذا تبرير يعكس وعي الباحث بأهمية المصطلح ومدلولاته.

أما الناقد "محمد مرتاض" فيُصّر في بداية دراسته (قراءة في أدب الطفولة الجزائري؛ القصة أنموذجا) على إبراز إشكالية مفهوم أدب الطفل، من خلال الإشارة إلى زبئية المفاهيم الموضوعية له التي يصب جلها في باب تفسير الماء بالماء بتعبيره، متبنيا مفهوم أدب الطفل الذي وضعه "عادل أبو شنب"، مشيرا في الوقت نفسه إلى الجوانب الفنية التي يجب على كل أديب مراعاتها عند كتابته للطفل عبر مراحل نموه، مع التشديد على ضرورة مواكبة العصر، ومسايرة التطورات المجتمعية كي يكون الطفل في زمانه ومكانه. (محمد، 2017، صفحة 15، 14). إن المفهوم الذي اعتمده "مرتاض" في قضية توضيح مفهوم أدب الطفل وضرورة ربطه بعصره، يقودنا إلى النظر، والوقوف مطولا على تطورات مفهوم (الطفولة) كما يشير إلى ذلك "بيتر هينت" في كتابه (مقدمة في أدب الطفل) بقوله: "ولكي نحدد هذا المفهوم ينبغي أن نتعقب وهما آخر، فمفاهيم الطفولة لا تختلف على المستوى الثقافي فحسب، بل تختلف أيضا باختلاف الوحدات الاجتماعية مهما صغر شأنها مثل وحدة العائلة، وهذه الاختلافات تبدو غامضة من عصر إلى آخر، فقد أشار "فريد إنجلز" Fred Angils في بحث وجيز رائع إلى أن "تاريخ الطفولة أمر بالضرورة مقحم على تاريخ العائلة"، ومما يثير الدهشة أننا لا نعرف الكثير عن مفاهيم الطفولة قبل الرومانسية (هينت، 2009، صفحة 14)

نجد في السياق نفسه دراسة الباحثة "عايدة بومنجل" التي أولت اهتماما بتوضيح مفاهيم مفردات عنوان كتابها (شعر الأطفال في الجزائر)، وقد احتفظت بالمصطلح نفسه في المتن مع استعمالات محتشمة لمصطلح (الشعر الموجه للأطفال/ القصيدة الموجهة للطفل)، كما جاء الحديث عن بداية التأليف الشعري للأطفال في الجزائر عنوانا لمدخل الدراسة، وقد تخلل مدخلها عدّة مباحث، تعلق الأول منها بمفهوم أدب الطفل الذي جمعت فيه بين الجوانب النفسية للطفل، ومرحلته العمرية، والمادة المقدمة له، أما المبحث الثاني فأشارت فيه إلى أهمية الشعر ومبررات اختيارها له دون غيره من الأجناس الموجهة للطفل، حيث تقول: "أدب الأطفال من قصة ومسرحية وشعر هو ذلك الأدب الموجه إلى فئة خاصة من القراء هم الأطفال والذي يكون فيه الحرص شديدا على اختيار الموضوع الذي يتناسب وإدراك الطفل وفهمه وتقديره له في أسلوب خاص يتلاءم ومستواه الفكري، وبلغة ميسورة سهلة لا يستعصى عليه فهمها، ولا يكون النص خاليا من معاني ودلالات وأهداف إيجابية يسعى الكاتب إلى تأصيلها مع عدم إهمال الجوانب النفسية للطفل ومراعاتها(...)"، إن الشعر يمتاز بميزة تجعل الطفل يستحسنه ويقبل عليه، وهي إمكانية تلحينه وإنشاده والتغني به (بومنجل، 2007، صفحة 15، 14).

وخصصت المبحث الثالث لأهم الجوانب التي يجب مراعاتها عند الكتابة للطفل كالجانب النفسي، الجانب اللغوي، لتعرج في المبحث الأخير إلى أهمية أدب الطفل في ظل العولمة، أما الفصل الأول من الدراسة فتعرضت فيه إلى تجربة الشعر الموجه إلى الأطفال في الجزائر، وذلك من أجل الكشف عن مراحل تطوره، بدءاً بمرحلة ما قبل الاستقلال التي كان لها عميق الأثر في تأصيل الهوية وحب الوطن وتربية النشء على هذه المبادئ، وصولاً إلى مرحلة ما بعد الاستقلال.

وتحت عنوان (مفهوم أدب الطفل) يحصر الباحث "الربيعي بن سلامة" الفروق والاختلافات بين أدب الراشدين وأدب الأطفال، في الجمهور المتلقي (كبار/ صغار) مما يميز الكتابة الموجهة للطفل عنده في كيفية تقديمها لهذا النوع الحساس من الجماهير الذي يراعى فيه عدّة جوانب تتعلق بالطفل، وهذا الأمر لا يغير طبيعة الأدب من حيث هو أدب ولا وظيفته على حد تعبيره، مع ضرورة مراعاة جانبي المتعة والإفادة. (الربيعي، 2009، صفحة 11). يكمن جوهر الاختلاف الحقيقي بين أدب الصغار والكبار حسب وجهة نظر "الربيعي بن سلامة" في كيفية الكتابة، وهو أمر مؤكد وطبيعي، لكن السؤال المطروح هنا، هل كل ما يقصده الكبار يفهمه الأطفال؟ مع مراعاة تحقيق المتعة والإفادة معاً، وهل يتحقق شرط فهم الطفل لمضمون العمل الموجه له في ظل اختيار واقتناء العائلة ما يروونه مناسباً له من وجهة نظرهم هم، لا من وجهة نظره هو؟

وفي السياق ذاته ربط الباحث "علي سعيد بهون" مفهوم أدب الطفل بالمتعة من جهة، وبالإفادة من جهة أخرى. إذ يقول في محاولة له لتبسيط بعض المفاهيم المطروحة في الساحة العربية: "ولو حاولنا أن نبسط مفهوم أدب الطفل بناء على ما تقدم فهو الكلام المفيد يقدم للناشئة عبر أجناس متعددة ووسائط مختلفة، يراعى فيه التبسيط والتشويق، والتجسيد والتصوير الفني، ويسعى إلى تحقيق الإفادة والإمتاع معاً". (بهون، 2018، صفحة 12، 13). إن المفهوم الذي اعتمده "بهون" قد تجاوز ربط مفهوم أدب الطفل بما هو مطبوع منشور فقط، بل ربطه بمعطيات العصر وما تقدمه الوسائط المختلفة.

3. الحركة النقدية في المقاربات التطبيقية

1.3 من حيث المنجز والتطبيق:

يكشف لنا الباحث "العبد جلولي" في الجانب التطبيقي للدراسة عن ثلاث خصائص فنية خص بها دراسته للجانب المضموني في الشعر الموجه للأطفال في الجزائر، وهي: (التشكيل الموسيقي، الصور الشعرية، اللغة الشعرية)، حيث أشار في التشكيل الموسيقي إلى اتجاهين أحدهما: (مدرسي تقليدي محافظ)؛ يعتمد على استخدام البحور الخفيفة والقصيرة القابلة للإنشاد والغناء، ويراها مناسبة لأنها أكثر نفاذاً إلى قلوب الصغار وآذانهم، ممثلاً لهم بأربعة

شعراء هم: "محمد العيد آل خليفة"، "محمد العابد الجلاي السماتي"، "أحمد سحنون"، محمد الطاهر التليلي" والاتجاه الآخر (التربوي الجديد) الذي سار على درب نفسه، وقد مثل له بأسماء: "محمد الأخضر السائحي"، "جمال الطاهري"، "بوزيد حرز الله"، مصطفى محمد الغماري"، "سليمان جوادي"، "ناصر لوحيشي"، "الشافعي السنوسي"، حيث أبان عن أهمية التأثير الإيجابي للإيقاع الموسيقي على الطفل، بقوله: "وقد أظهرت الدراسات السيكولوجية أن الطفل يبدأ في الاستجابة للنشطة للموسيقى ابتداء من سن ثلاثة إلى ستة أشهر بدلا من الاستقبال السلبي لها، ففي هذا السن يبدأ الطفل بالالتفات نحو مصدر الصوت، ويظهر علامات السرور والدهشة نحوه(...)" فهو منبه للحواس ومثير للخيال" (جلولي، 2008، صفحة 267، 268).

وبعد انتهاء الباحث من استعراض البحوث الشعرية المستخدمة في قصائد كلا الاتجاهين (التقليدي والتجديدي)، توصل إلى جملة من النتائج ختمها برضاه عن اختيارات الشعراء الجزائريين، وتوفيقهم باستخدامهم لأخف الأوزان وأسهلها التي تتلاءم وسن الأطفال، وتحقق الغرض التربوي والفني في آن واحد.

ومن جهة أخرى، أكد الباحث على أهمية الخيال ودور المخيلة في خلق الصور الذهنية التي يستلزمها الفهم عند الطفل، أما عناصر الصورة الشعرية تحدث عنها مطولا بالشرح والتمثيل فيما يخص: اللون، الذوق، الشم، الحجم، الحركة، الصوت. وكيف وُظفت في الشعر الموجه للطفل الجزائري، أما أنماط الصور الشعرية بأنواعها (التشبيهية، الكنائية، الاستعارية)، فقد أشار إلى التشبيه كأفضل وسائل التصوير الفني في مجال النص الشعري، وفي نظره يتلاءم وخصوصية الطفل الصغير، كما أنه يرى هيمنة التشبيه في النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر خصوصا عند شعراء الاتجاه التقليدي المحافظ: (محمد العيد آل خليفة، أحمد سحنون، محمد العابد الجلاي، محمد الطاهر التليلي) بصورته التقليدية. أما الاتجاه التربوي الجديد فقد مزج في شعره بين الصور التشبيهية القديمة وصور تشبيهية جديدة جاءت كنتيجة للانفتاح على الآخر، وقد وجد الباحث أن هناك من الشعراء من تجاوزت صورته الشعرية مستوى الأطفال بخاصة في مراحلهم الأولى والمتوسطة، مستشهدا على ذلك بقصيدة لـ"محمد الأخضر عبد القادر السائحي" بعنوان: أطفال الساقية الحمراء يتحدثون. وفي السياق نفسه أفرزت قراءة الناقد للصورة الرمزية بأنواعها بعض الهفوات التي سقط فيها الشعراء منها: تضمين شعرهم بصور تفوق مستوى إدراك المتلقي الصغير، كما هو الشأن مع مفردتي (منجل/ مطرقة) التي أوردهما الشاعر "الغماري" في قصيدته (جزائر يا أمنا)، وهي رمز للشيوعية، وهو أمر يحتاج ثقافة معينة حسب تصريح الناقد (جلولي، 2008، صفحة 359، وما بعدها)

عالج الباحث اللغة الشعرية في الشعر الموجه للأطفال في الجزائر، حيث أشار إلى وضوحها وبساطتها عند أصحاب الاتجاهين معا (التقليدي والجديد)، تابعا نظرتهم هذه بجملة من الأسباب التي أدت إلى ذلك، كما أبانت قراءة

الباحث عن سمة أخرى للغة الشعرية المستعملة التي كشفت عنها بعض القصائد، وهي ظاهرة الغموض واستخدام المجازات، وتوظيف الرموز بطرق تتجاوز مستوى إدراك الأطفال خصوصا في المراحل الأولى، وقد ارتبطت هذه الظاهرة في نظره بشكل لافت للنظر عند كل من: "مصطفى محمد الغماري"، و"محمد الأخضر عبد القادر السائحي"، و"بوزيد حرز الله"، و"جمال الطاهري"، فقد وجد الباحث في دواوينهم مقاطع شعرية تتضمن عبارات وتراكيب وصور تتجاوز مستويات الأطفال خصوصا في المراحل المبكرة والمتوسطة، "فلا يمكن للطفل الذي لا يملك رصيда تاريخيا أن يفهم عبارات مثل: (سيف علي وحزم عمر، أن الطليق طليق، حج مروانهم واعتمر، تشرق في شفتينا السور)" (جلولي، 2008، صفحة 415، 416)

أما على مستوى الاعتبار اللغوي، فقد وازن الباحث "جلولي" بين شعر كلا الاتجاهين، وكانت نتيجة ذلك أن وجد فرقا شاسعا بينها جعله يأسف على معظم شعراء الاتجاه الجديد، وما تضمنته أعمالهم من أخطاء نحوية وصرفية وصلت حد الركاقة والابتذال أحيانا، وهو أمر غير مقبول بتعبيره، مختتما موازنته بقوله أن: "...مرحلة سيادة الاتجاه المدرسي التقليدي المحافظ حيث تميزت اللغة الشعرية بالقوة والجزالة، وخلوها من الأخطاء من جهة وبالتقريرية والمباشرة وابتعادها عن قاموس الطفل من جهة ثانية، ومرحلة سيادة الاتجاه التربوي الجديد حيث تميز شعر هذه المرحلة بلغة سهلة بسيطة مستمدة من بيئة الطفل ومحيطه مع الوقوع في أخطاء لغوية أحيانا وهو الشيء الذي لا يغتفر في النصوص الموجهة للطفل لأنها تتشبه على الخطأ" (جلولي، 2008، صفحة 433). هكذا جاءت دراسة الباحث "جلولي" بنتائج نقدية بالغة الأهمية في كشفها عن مواطن النقص في هذا النوع من الأدب الموجه لفئة حساسة من المجتمع.

بينما تعول الباحثة "عايدة بومنجل" في دراستها على المضمون كأحد الاعتبارات المهمة بغرض الإفادة في الشعر الموجه للأطفال، إلى جانب الاعتبارات الجمالية طبعاً، وهي بهذا لا تختلف عن الباحث "العيد جلولي"، من هذا المنطلق وضعت أعمال الشعراء الجزائريون موضع تساؤل، تعلق الأول بالموضوعات التي طرقتها؛ إلى أي مدى كان توفيق هؤلاء الشعراء في اختيار موضوعاتهم أو مضامين قصائدهم، وما مدى ملاءمتها لعقول الصغار؟ هل استوفت هذه القصائد جميع مراحل الطفولة؟. أما التساؤل الآخر فتعلق بالخصائص الفنية لشعرهم، وجاءت تساؤلاتها كالآتي: كيف كان تعامل الشاعر الجزائري في خطاباته الشعرية الموجهة للأطفال من حيث المعجم الشعري والتركييب اللغوي والصورة الشعرية والموسيقى؟. وهل ساهمت في تحقيق انقراطية النص؟. (بومنجل، 2007، صفحة 34، وما بعدها)

ركزت الباحثة "بومنجل" في دراستها للخصائص الفنية على جملة من المعايير: المعجم الشعري، التركيب اللغوي، الصورة الشعرية، الموسيقى، وهي عناصر مهمة يقف عندها الناقد لبيان قيمة الشعر الموجه للأطفال، ومدى تناسبه لهذه الفئة خاصة أن دراسة الباحثة تصب في مجال النقد، لكن ما يؤخذ عليها هو عدم تناسق وانسجام الاستنتاجات التي انتهت إليها في كل عنصر مع محتوى المباحث، فضلا عن كونها لم تستشهد للنقائص التي طرحتها، وحتى يكون حكمنا معللاً نورد بعض الاستنتاجات التي قدمتها: (وهذا لا يمنعنا من القول بأن هذه النصوص لم تخل من الألفاظ والمفردات الصعبة تماما، والتي تفوق مدارك الأطفال/ ولكن هذه الأشعار لم تسلم كلها من التراكم الطويلة المعقدة التي ترهق نفس الطفل، وعلى العموم فعلى الشاعر أن يبذل جهده في النزول من عالمه.../ إلا أن ما يلاحظ على هذه الأشعار أنها أحيانا تلجأ إلى البحور الطويلة والثقيلة على الطفل، والتي تؤثر سلبا على إقباله على الأثشودة)(بومنجل، 2007، صفحة 67، وما بعدها)

وسرعان ما تداركت الباحثة الهفوة التي وقعت فيها، وتمكنت في الجزء الخاص بدراسة مجموعة (رجاء) "الناصر لوحيشي" التي كانت أنموذجا للدراسة خصته للبناء الفني في المجموعة، من الوقوف على الهنات التي طبعت ديوانه إلى جانب الإيجابيات طبعاً بشيء من التفصيل والشرح والتعليل، وركزت فيه على المعجم الشعري، التركيب اللغوي، الصورة الشعرية، والموسيقى.

كما ركز الباحث "علي سعد بهون" في دراسته (أدب الأطفال؛ دراسة في الموضوعات والفنون والمقومات للشعر الموجه للأطفال التي خص بها المحور الثالث من الدراسة، على أهمية هذا اللون كأحد الفنون المحببة لدى الأطفال، مبينا أهميته وفائدته وأنماطه. أما مضامين الشعر الموجه للأطفال فعمل على عرضها باختصار مضمنا بعضها بأبيات شعرية، في مقابل اكتفاء بالوصف في بعضها الآخر، كما هو الشأن مع المواضيع الوطنية التي أشار فيها إلى موضوع الثورة الجزائرية التي تضمنتها موضوعات الشعر الموجه للأطفال عندنا إلى جانب العلم وألوانه، والأمر نفسه يتكرر مع الموضوعات المدرسية والترويحية. وما يلفت الانتباه هو كشفه عن بعض التفاوت بين قدرات الشعراء الفنية، وقواميسهم اللفظية، وبين اجتهاداتهم، وقد وقع بعضهم حسب نظره في التقريرية مع تقديم بعضهم لمقطوعات شعرية تفوق مستوى فهم وإدراك الأطفال، كما استعان بعضهم بألفاظ يصعب استيعابها، وأفكار غامضة تقف حاجزا أمام تلقيها من قبل طفل، وفي نظرنا فإنّ هذا الحكم النقدي لا يستقيم مادام أنه (الباحث) لم يقف بالدراسة والتحليل على نماذج تثبت صحة هذه الأحكام، وحتى الخصائص الفنية للشعر الموجه للطفل فقد حصرها الباحث في: (الصورة الشعرية والإيقاع، مكتفيا بالحديث عنها نظريا فقط)(بهون، 2018، صفحة 157، وما بعدها)، وقد كان من الأولى للباحث تدعيم دراسته بمزيد من التفصيل والتعمق حتى تكون الاستفادة أكبر.

ومثل ذلك الاختصار نجده عند الباحث "الربيعي بن سلامة" في الجزء الذي خصه لدراسة الشعر الموجه للطفل في الجزائر المعنون بـ (دراسة تطبيقية حول أجناس أدب الأطفال في الجزائر) (الربيعي، 2009، صفحة 148، وما بعدها)، فقد صرح منذ البداية بفقر المكتبات الوطنية من الدراسات التي تناولت أدب الطفل، في مقابل توفر الإبداع الأدبي بالرغم من سعة الأدب وتنوعه حسب قوله، مكتفيا باختيار نماذج من ديواني "السائي" (أناشيد وأغاني الأطفال/ أناشيد النصر). وتبين لنا من خلال قراءته للنماذج المختارة التي تناول فيها الإيقاع الموسيقي فقط، إلى جانب بعض الإشارات حول اللغة المستخدمة من قبل الشعراء، أنه بارع في تحليلها، ورغم قصر الدراسة فقد تمكن من ربط الفئة العمرية للأطفال بكل نموذج من النماذج المختارة، وهذه إشارة غفل عنها الكثير من الباحثين.

خصص الباحث "محمد الصالح خرفي" هو الآخر جزءا هاما من دراسته (أدب الأطفال في الجزائر) لإحصاء الأناشيد الموجهة للطفل في الجزائر، منبها إلى قلتها وعدم الاهتمام بها (أحصى تسعة كتب)، متخذا من (مكتبة دار الثقافة هوارى بومدين/ سطيف) عينة للدراسة، بالإضافة إلى الأناشيد الموزعة في الكتب المدرسية في الطورين الأول والثاني، وهي كتب لا تختلف في نظره إلا من حيث أن الكتب المدرسية مفروضة على الأطفال، أما الكتب الأخرى فالطفل هو الذي يختار أو بتوجيه منها ما يعجبه. وعن مضامين الشعر الموجه للطفل بالجزائر يرى أنها تتقاطع جميعها في نفس الموضوعات، وتختلف فقط في كيفية تناول تلك المضامين، ثم يعود إلى تلك المضامين بالدراسة والتحليل؛ حيث يقف على سبعة قيم تضمنتها تلك الأناشيد حصرها في القيم: الوطنية، الأسرية، العلمية، الاجتماعية، الدينية، الإنسانية، الطبيعية، مستشهدا لكل قيمة بأبيات شعرية.

وفي دراسته لبعض الخصائص الفنية في الأناشيد الموجهة للطفل بالجزائر، وقف الناقد على: اللغة، الصورة الشعرية، الوزن الموسيقي. حيث رأى أن هناك من النصوص ما عكست المباشرة في الطرح، ووقعت في فخ أدلجة الطفل، وكمثال على هذا يورد الباحث أبيات لإسمين هما الشاعرين: "السائي" و"جوادي"، حيث يرى أن خطهما السياسي لا يخدم الطفل ولا النص بقدر ما يضرهما، كما يذكر أسماء شعراء آخرين ممن لهم إسهامات تتناسب ومستوى فهم وإدراك الطفل. وحين تناوله الإيقاع الموسيقي رأى أن البحور الصافية الأكثر استعمالا تمثلت في: الرمل، المقارب، المتدارك. وقد تنوعت حسب قراءته بين التام والمجزوء، أما من ناحية البناء فجاءت معظمها عمودية حسب قوله (خرفي، 2014، صفحة 39، وما بعدها). وفي معانيته للمواد الأدبية المنشورة ضمن ملحقات الأحرار الصغار، يقف "الصالح خرفي" في مجال الشعر على القيم المبثوثة في الأشعار التي كتبها الكبار للأطفال، والتي كتبها الأطفال أنفسهم، مصنفا محاولات الأطفال تلك في باب الخواطر، وتشجيعا لهم وضعت في باب الأشعار ليس إلا.

وكنا نأمل أن يلتفت الباحث إلى دراسة الجماليات كمدى تدعيم هذه الأعمال بالرسومات والصور والألوان، ومدى توافقها وتناسبها مع مضامين الأعمال من جانب، ومستويات إدراك الأطفال من جانب آخر، خاصة وأن الدراسة تناولت الأناشيد التي تضمنتها الكتب المدرسية الموجهة للطفل الجزائري في طور الابتدائي.

4. خاتمة: نستخلص مما سبق:

. أن الدراسات النقدية المتخصصة في مجال النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر قليلة مقارنة بأدب الكبار (وتبقى هذه الملاحظة في حدود ما وجدنا من دراسات في هذا الموضوع).

. أفصحت بعض الدراسات في جانبها النظري عن وعيها بتحديد مفهوم مصطلحاتها كما هو الحال مع "العيد جلولي" و"محمد مرتاض"، "الرعي بن سلامة"، "عايدة بومنجل"، في حين لم تلتفت باقي الدراسات إلى هذا الإشكال.

. التقت كل الدراسات في نقطة واحدة ألا وهي الوقوف على القيم والمضامين في الشعر الموجه للطفل، وهذه المعايير تمثل أحد المرتكزات الأساسية التي ترتبط بوعي الطفل وتساذه إلى جانب اعتبارات أخرى على الإفادة منها وتوجيهه الوجهة الإيجابية، لكنها أهملت التعليق على المعايير الشكلية التي تساهم في جذب الأطفال إلى الكتب وقراءتها كشكل الغلاف، والعناوين، وطبيعة الصور... وغيرها.

. أغفلت الدراسات الفئة التي وجه إليها الشعر، ومدى تناسبه مع خصائص المرحلة العمرية للطفل، إلا ما جاء به تحليل الباحث "الرعي بن سلامة" الذي ربط كل نموذج شعري بفئة معينة وجه إليها، ودرجة ملائمتها.

. كانت الدراسات تدور حول موضوعات جزئية مثلما هو الحال مع دراسة الباحث "الصالح خرفي"، أو تدرس إلى جانب الأدب الموجه إلى الأطفال في الجزائر إنتاج آداب أخرى مثلما فعل كل من "الرعي بن سلامة" و"علي سعيد بهون"، أو مخصصة لجنس أدبي معين كما هو الحال مع الباحثين "العيد جلولي" و"عايدة بومنجل"، كما تنوعت الدواوين المدروسة؛ إذ حصرتها "بومنجل" في ديوان واحد لشاعر واحد هو "ناصر تحريشي"، ومثلها فعل "الرعي بن سلامة"؛ حيث اعتمد على ديوانين لشاعر واحد هو "الساحي"، في حين اعتمد "العيد جلولي" على مجموعة شعراء من التيار التقليدي في مقابل مجموعة من التيار الجديد.

. توصلت الدراسات إلى النتيجة نفسها حول الشعر الموجه إلى الأطفال في الجزائر، وإن اختلفت طرق التناول كما رأينا، كمدى ملائمة مادته ولغته وأساليبه مع مستويات الطفل، بغض النظر عن بعض التعقيدات التي تدخل في باب النقائص.

. ليس هنالك فارق بين الدراسات في الاعتبارات التي ركزوا عليها في دراسة المضامين، إذا ما استثنينا الباحث "الرعي بن سلامة" الذي اعتمد في دراسته على الإيقاع الموسيقي فقط، وإنما الفارق يكمن في كيفية تناول، حيث كان الباحث "العبد جلولي" أكثر عمقا وتفصيلا وتعليلًا، تليه دراسة الباحثة "عابدة بومنجل" وهذا أمر طبيعي لأن الدراسة ركزت اهتمامها كله على دراسة جنس أدبي واحد ألا وهو الشعر الموجه للأطفال، وهكذا لم تُحد عن الأهداف المنشودة، في حين جاءت الدراسات الأخرى بشيء من الإيجاز والعرض لعدم تحديد وتخصيص عينة البحث وترامي أطراف الدراسة.

. من إيجابيات الدراسات السابقة ومحاسنها أنها سلطت الضوء على الإبداع الجزائري دون الإبداعات المترجمة كما هو الحال مع القصة أو الحكاية أو المسرحية.

وتبقى الحاجة ملحة إلى دراسات مستقلة متخصصة تتناول الجزئيات والمعايير الهامة في الأدب الموجه للأطفال من جهة، ومن جهة أخرى، ينبغي وجود هيئات رقابة مختصة تعنى بأدب الأطفال وتسويقه كما ينبغي، والوقوف على ما يترجم لهم.

ونحن هنا لا نشكك في قيمة مثل هذه الدراسات وأهميتها، وما أحوجنا إليها، وإنما نهدف إلى شد الانتباه إلى ضرورة القراءات الفاحصة والمتخصصة إيمانًا منا بالدور الفعال الذي يلعبه النقد في التوجيه والتمحيص والغزيلة؛ فإذا كان الحديث كله قد انصب على كيفية الكتابة التي يجب أن توجه للطفل ومدى أهمية ذلك، فالأهم أن نبحت عن كيفية تلقي وقراءة الطفل (الجزائري خاصة) لتلك الكتابات، أو كيف يقرأها الكبار للصغار.

5. قائمة المراجع:

1. العيد جلولي. (2008). النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر. الجزائر: موفم للنشر، د ط.
2. بن سلامة الربيعي. (2009). من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي. الجزائر: دار مداد يونافرسيتي براس، د ط.
3. بيتر هينت. (2009). مقدمة في أدب الطفل، تر إيزابيل كمال. القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة، ط1.
4. عائدة بومنجل. (2007). شعر الأطفال في الجزائر. الجزائر: سحب الطباعة الشعبية للجيش، د ط.
5. علي سعيد بهون. (2018). أدب الأطفال؛ دراسة في الموضوعات والفنون، والمقومات. الجزائر: جسور للنشر والتوزيع، د ط.
6. محمد الصالح خرفي. (2014،). أدب الطفل في الجزائر، مجموعة دراسات نقدية. الجزائر: ميم للنشر، د ط.
7. مرتاض محمد. (2017). قراءة في أدب الطفولة الجزائري، القصة أنموذجاً. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط.